المحور الثالث: مفهوم البحث الوثائقي

أولا- تعريف البحث (المنهج)[1] الوثائقي:

هو مجموعة خطوات البحث عن الوثائق المتعلقة بموضوع ما، وتحديدها والعثور عليها من خلال تطوير استراتيجية البحث[2]. أو هو البحث الذي تكون فيه أدوات جمع المعلومات معتمدة على المصادر والوثائق المطبوعة وغير المطبوعة، كالكتب والدوريات والنشرات والتقارير والوثائق الإدارية والتاريخية، وكذلك المواد السمعية والبصرية ومخرجات الحاسبة وما شابه ذلك من مصادر المعلومات المجمعة والمنظمة[3]. يُعرف بأنه "نوعٌ من أنواع البحوث، يعتمد على جمع ودراسة الوثائق المرتبطة بمحتوى البحث". ويُعرف أيضاً بأنه "البحث الدقيق المعتمد على مراجع موثوقة تساهم في فهم قضيّة، أو ظاهرة معيّنة بالاعتماد على المعلومات المسجّلة حولها، والتي تساعد على الوصول إلى النتائج المناسبة المرتبطة بموضوع البحث الوثائقي"[4].

كما يمكن تعريفه بأنه مسعى منهجي démarche méthodologique يجعل من الممكن تحديد واسترجاع ومعالجة المعلومات حول موضوع معين. يقول برنارد بوشيه Bernard Pochet "إن معرفة كيفية التوثيق تعني معرفة مكان وكيفية العثور على المعلومات، ومعرفة كيفية طرح الأسئلة الصحيحة، ومعرفة المعلومات التي تحتاجها، ومعرفة كيفية قراءتها، وفهمها، وانتقادها، وتقييم ما إذا كانت تلبي احتياجات البحث، ومعرفة كيفية إدارتها[5]".

وحسب كينيث بايلي Kenneth Bailey، يشير استخدام المناهج الوثائقية إلى تحليل الوثائق التي تحتوي على معلومات حول الظاهرة التي نرغب في دراستها. ويصف كل من

---

[1] عند الرجوع إلى الكتب الأكاديمية والمراجع المتخصصة في مجال المنهجية، نجد التسميتين "بحث وثائقي" و"منهج وثائقي" تطلقان على سبيل الترادف، وتشيران إلى الشيء نفسه. وأحيانا نجد تسمية تجمعا بينهما "منهج البحث الوثائقي". لذا فإننا سوف نوردهما كمترادفين.

[2] Université d'avignon, Méthodologie de la recherche documentaire: principes clé, Service Formation des Publics, in website: https://bit.ly/3bOcd6E

[3] عامر قنديلجي، **البحث العلمي واستخدام مصادر المعلومات**، (عمان، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط1، 1999)، ص47.

[4] مجد خضر، (2017)، البحث الوثائقي، على الرابط: https://bit.ly/3yWK4UQ

[5] Methodologie de la Recherche Documentaire, https://bit.ly/3yZ9Sja, p3.

جيوف باين و جودي باين Geoff Payne & Judy Payne المنهج الوثائقي بأنه التقنيات المستخدمة لتصنيف، والتحقيق، وتفسير، وتحديد حدود المصادر المادية، والوثائق المكتوبة الأكثر شيوعًا سواء في المجال الخاص أو العام[6].

ويختلف مفهوم البحث الوثائقي عن مفهوم **التوثيق** الذي يعني "الإجراءات والعمليات الفنية والمتخصصة التي تسهل توفير المعلومات واستخدامها ... ويتم تخزين هذه المعلومات بشكل يُسهِّل الحفاظ عليها، وتنظيمها، وتحليلها، وفهرستها، وتصنيفها، وترجمتها، لتكون جاهزة للإستخدام في حال استرجاعها عند الطلب، ويمكن التعامل مع المعلومات بالشكل اليدوي أو بالشكل الآلي"[7]. يعمل التوثيق على المحافظة على المعرفة البشرية وعلى الإفادة منها.

ثانيا- أهمية البحث الوثائقي:

يعتبر البحث الوثائقي عنصرًا أساسيًا في البحث الاجتماعي بصفة عامة، وتعتبر المنتجات الوثائقية المادة الرئيسية التي يستند عليها الباحثون في جميع أبحاثهم في مختلف العلوم الإجتماعية والإنسانية. فمثلا تمثل هذه المنتجات أهمية خاصة للإثنوغرافيين، حيث تُوفر مادة ومسارا غنيا للتحليل، يستطيع الإثنوغرافي من خلالها رسم صورة دقيقة عن الواقع الذي وثقته هذه المنتجات، سواء كان هذا الواقع حاضرا أو ماضيا بعيدا. وتهتم العديد من المنظمات وإعدادات العمل بإنتاج واستهلاك السجلات والبيانات الوثائقية، حيث تشمل التحليلات المعروفة لمثل هذه العمليات والمنتجات ما يلي: تقارير المدرسة؛ سجلات طبية؛ تصنيفات أسباب الوفاة؛ وسجلات حالات الزائرين الصحيين. يجب النظر في القضايا الرئيسية المحيطة بأنواع الوثائق والقدرة على استخدامها كمصادر موثوقة للأدلة في العالم الاجتماعي من قبل جميع الذين يستخدمون الوثائق في أبحاثهم[8].

ثالثا: خصائص البحث الوثائقي:

---

[6] Mogalakwe, p221.

[7] عز الدين بودربان، البحث الوثائقي التربوي في مجتمع المعلومات: دراسة ميدانية في المؤسسات التربوية الجزائرية، ولاية قسنطينة نموذجا، أطروحة دكتوراه دولة في علم المكتبات، جامعة منتوري-قسنطينة، الجزائر، ص 31.

[8] Jashim Uddin Ahmed, p3.

من أهم خصائص البحث الوثائقي نذكر ما يلي[9]:

- إنه مشترك (أي موجود) في جميع أنواع البحث ذات الأساس النظري أو المرجعي، سواء كان ذلك في العلوم الطبيعية أو الاجتماعية؛
- يحصل على البيانات من مراجعة الوثائق ذات الفترات المختلفة؛
- تنظيم البيانات المُجمَّعة بطريقة متماسكة؛
- يسمح بإعادة اكتشاف أو إعادة تفسير الجوانب المختلفة للموضوع؛
- اقتراح وجهات نظر و/أو نظريات تحليل جديدة بناءً على المعلومات التي تم الحصول عليها؛
- يتطلب قدرة على التوليف والاستنباط والتحليل؛
- يوفر صلابة لاستنتاجات الباحث.

رابعا- أنواع البحث الوثائقي:

1- **البحث الوثائقي الإعلامي:** هو بحث يهدف إلى تعريف وإعلام جمهور القراء بكل ما يتعلق بموضوع معين. يصف هذا النوع من البحث موضوع الدراسة في تفاصيله، وهو مسؤول عن ترتيب وتنظيم المعلومات المتاحة في مجموعة متماسكة من الأفكار. وعادة ما يتم تميزه بالطريقة التي تُنظم بها المعلومات وبتقديم مقاربات جديدة.

2- **البحث الوثائقي الإستكشافي:** يهدف إلى استكشاف صحة فرضيات معينة، وفهم مشكلة معقدة من خلال التحليل، و/ أو صياغة حلول ممكنة للمشكلة المطروحة.

خامسا- خطوات (مراحل) إجراء البحث الوثائقي:

لكل بحث علمي منطق تنظيمي داخلي وخطوات أو مراحل يمر بها، يمكنها أن تضمن جودة العمل المنجز وزيادة إنتاج المعرفة العلمية. ومن حيث المبدأ، يشترك البحث الوثائقي مع أنواع البحوث الأخرى في مجموعة من الخطوات الأولية، كتحديد موضوع البحث، وتحديد المشكلة البحثية، ثم تحديد المنهج وأساليب جمع البيانات والمعلومات.

[9] Abdullah Sam, What is documentary research? In website: https://bit.ly/3ws6BXz

بالنسبة لتحديد موضوع البحث، فإن القاعدة العامة تقتضي الإنتقال من العام إلى الخاص إلى المتفرد أو المتميز. ومعنى ذلك أن الباحث عندما يفكر في موضوع بحث معين ستكون أولى أفكاره عنه تتسم بالعمومية، ومع القراءة والبحث والإطلاع على الكتابات السابقة في الموضوع يبدأ في التخصص أكثر فأكثر ويبتعد عن العموميات.

وينصح علماء المنهجية في هذا الصدد اتباع ما يلي[10]:

1- تحديد الموضوع:

يجب مساءلة موضوع البحث في كل أبعاده وجوانبه، وصياغة عنوانه في جملة قصيرة، واختيار المفاهيم المهمة وتمييزها عن باقي مرادفاتها. يجب أن تتيح هذه الخطوة إمكانية طرح المشكلة وتحديد الاحتياجات الوثائقية واختيار المفاهيم / الكلمات الرئيسية اللازمة للتعامل الجيد مع المصادر الوثائقية.

1-1- **اختيار الموضوع:** تلعب معارفنا السابقة واهتماماتنا الشخصية حول الموضوع دورا مهما في توجيه اختياراتنا وتبنينا لجوانب من الموضوع على حساب أخرى. ولتوضيح الموضوع وفهمه بصفة شاملة، يمكن للمرء الرجوع إلى الوثائق التي تقدم نظرة عامة حول الموضوع. في هذه المرحلة، ستتعلق الوثائق المستخدمة بشكل أساسي بالقواميس والموسوعات (نسخة ورقية أو عبر الإنترنت) أو الكتيبات أو المقالات الموجزة.

1-2- **حصر الموضوع:** هنا يمكن أن نتبع طريقة QQQOCP[11] التي يمكن اعتبارها بمثابة جهاز ذاكري يسمح بالاحتفاظ بمجموعة من الأسئلة البسيطة التي سيتم استخدامها لحصر موضوع وتحديده وتعميقه. تتمثل هذه الأسئلة في:

- **من؟** من هم الفواعل أو الأشخاص المعنيين بهذا الموضوع؟
- **ماذا؟** ما الجوانب التي تهمنا في هذا الموضوع؟
- **متى؟** ما الفترة المعنية بالدراسة في الموضوع؟
- **أين؟** هل الموضوع مقصور على منطقة جغرافية معينة؟

[10] Université d'avignon, Méthodologie de la recherche documentaire: principes clé, Service Formation des Publics, in website: https://bit.ly/3bOcd6E

[11] Qui? Quoi? Quand? Où? Comment? Pourquoi? من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ كيف؟ لماذا؟

- **كيف؟** ما المناهج أو وجهات النظر التي ينبغي استخدامها لدراسة هذا الموضوع؟ (تاريخي، اجتماعي، اقتصادي، سياسي، إلخ)
- **لماذا؟** لماذا اخترنا هذا الموضوع، ما مدى أهميته في السياق الحالي؟

3-1- **صياغة عنوان الموضوع:** يجب مراعاة التعبير عن الموضوع بجملة قصيرة قدر الإمكان، واستخدام مصطلحات ذات مغزى وتكون محددة قدر الإمكان. ويُنصح بالبحث عن مرادف واحد لكل مفهوم، بالإضافة إلى البحث فيما يقابله باللغة الإنجليزية، ففي كثير من الأحيان يجد الباحث صعوبة في تحديد المصطلح أو التسمية المناسبة للتعبير عن مفهوم ما باللغة العربية، خاصة إذا كانت أصول المفهوم أو المصطلح أجنبية، لذا فإن العودة إلى لغته الأصلية قد يحل هذا الإشكال.

4-1- **توسيع أو تقييد موضوع البحث:** قد يواجه الباحث صعوبتين تتعلقان بموضوع البحث، تتمثل **الأولى** في أن يكون موضوع البحث واسع وعام جدا، وبالتالي سوف تكون معالجة البحث تتسم كذلك بالعمومية والسطحية. لذا يحتاج الباحث إلى تقييده وحصره بشكل أكبر، وذلك بالتركيز على جانب واحد من الموضوع، أو تحديد منطقة جغرافية أو فترة معينة، شرط أن يكون هذا الحصر والتقييد مبررا من الناحيتين المنهجية والعلمية. وتتمثل **الثانية** في أن يكون موضوع البحث ضيقا ومحددا جدا، وبالتالي يصعب على الباحث التعامل معه كذلك، من حيث الحصول على مصادر الوثائق والمعلومات اللازمة لدراسته، أو في إمكانية الوصول إليها أصلا، أو في الحاجة إلى إجراء مقابلات مع العديد من المصادر. ويكمن الحل في وضع الموضوع في سياق أكبر لمعالجة جوانب السؤال التي ربما لم نفكر فيها في البداية، وبالتالي سنوسع نطاق موضوع البحث.

2- **اختيار مصادر المعلومات:**

بعد تحديد الموضوع، من الضروري اختيار أفضل مصادر المعلومات لإجراء البحث الوثائقي. يتضمن هذا المسعى بعدين: **البعد الأول** يتعلق بنوع الوثائق التي نبحث عنها: دراسات، مقالات صحفية، أطروحات، ... إلخ. ويتعلق **البعد الثاني** بنوع مصادر الوثائق التي

نبحث عنها: دليل (كتالوج) المكتبات، قواعد البيانات، محرك بحث ويب، بوابات متخصصة، ... إلخ.

2-1- نوع الوثائق: يتم تحديد نوعها بالإعتماد على مستوى وطبيعة المعلومات التي نبحث عنها. حيث يمكن العودة إلى:

- القواميس والموسوعات التي تفيد وتساعد في فهم الموضوع وتوضيحه، خاصة عندما يتعلق الأمر بمفاهيم جديدة.
- كتب أو دراسات مفيدة لمزيد من البحث، مثل: الكتيبات التي تساعد في تحديد وضبط مشكلة أو سؤال البحث؛ التذكارات التي تتيح إمكانية الحصول على فكرة سريعة عن موضوع ما؛ التفاصيل التي تدخل في جانب واحد من السؤال؛ تقارير المؤتمرات.
- الدوريات العامة أو المتخصصة التي تتيح إمكانية البقاء على اطلاع بآخر نتائج البحث أو موضوعات قضية اجتماعية معينة.
- الرسائل والأطروحات والتقارير البحثية ذات المستوى العلمي العالي، فهي مناسبة للتعامل مع موضوع متخصص.
- وثائق محددة (خرائط، براءات اختراع، صور، بيانات إحصائية، .. إلخ)، يعتمد استخدامها على المجال التخصصي للباحث أو المقاربة التي يختارها للتعامل مع موضوع ما.
- التوثيق الرسمي: وهو جميع الوثائق الرسمية التي تنشرها الدولة (قوانين، مراسيم، أنظمة، عقود عامة، جمعيات، .. إلخ.

2-2- نوع المصادر: يتم تحديد نوعها بالإعتماد على مستوى وطبيعة الوثائق التي نبحث عنها. حيث يمكن العودة إلى:

- دليل المكتبات متعددة التخصصات للعثور على الوثائق الورقية، سواء كانت مكتبات عالمية، أو مكتبات وطنية، .. إلخ.
- قواعد البيانات الببليوغرافية التي تتكون من مجموعة منظمة من المراجع الببليوغرافية حول موضوع أو حقل أو نوع من الوثائق وما إلى ذلك. يمكن أن

تحتوي على تحليل وملخص، وفي كثير من الأحيان، يمكن الوصول إلى النص الكامل للوثيقة نفسها.

- قواعد بيانات متعددة التخصصات، مثل: Jstor، DOAJ، Web of Knowledge
- قواعد بيانات متخصصة، مثل: Lexis Nexis, Doctrinal (droit), Econlit, Business Source (économie)
- قواعد تتيح الوصول أو النفاذ إلى النص الكامل للوثيقة، مثل: Cairn, Jstor, Persée, Thèses.fr. وقواعد تتيح الوصول الجزئي إلى نص الوثائق، مثل: Periodic, Francis, Pascal
- قواعد البيانات الواقعية: تقدم معلومات يمكن أن يستخدمها الباحث مباشرة، مثل: Maitron, Kompass
- مجموعات النصوص: تقوم بتجميع النصوص على أساس موضوعاتي أو تاريخية وتقديمها للمستخدم، مثل: Brepolis, Classiques Garnier, EEBO
- موارد الويب: وهي لا تعد ولا تحصى، ولكن المشكل يكمن في جودتها المتغيرة والمعلومات المتقلبة. هناك بعض المواقع الموصى بها للبحث عن المعلومات العلمية والأكاديمية مصنفة حسب الفئة:

أ) محركات بحث متخصصة، مثل: Google Scholar، Google Books، Economics Search Engine، Scirus، Isidore

ب) دليل المواقع: مثل "مشروع الدليل المفتوح" (Open Directory Project) أنشئ في عام 1998، ويديره جمع كبير من المحررين المتطوعين من جميع أنحاء العالم.

ت) بوابات علمية أو موضوعاتية، مثل: WorldWideScience، Université en ligne، Sciences.gouv.fr، Legifrance ، Centre international de recherche scientifique.

بالنسبة للخطوة المتعلقة بجمع البيانات، فإنه في العادة يبدأ الباحث بتحديد إجابته على مجموعة من الأسئلة التي سوف تُوجهه فيما بعد إلى كيفية القيام بالبحث الوثائقي. تتمثل هذه الأسئلة في:

1- ما طبيعة العمل البحثي الذي سيتم إنجازه؟ هل هو عرض، أم أطروحة، أم مقال، أم تقرير دراسة، .. إلخ؟

2- ما المستوى المتوقع للمعلومات؟ فإذا كنا نريد معلومات أساسية عن موضوع البحث، فإنه يكفي الرجوع إلى كتاب أو كتابين وموسوعة .. إلخ. وإذا أردنا معلومات أكثر تحديدا وتطورا من أجل التعمق في جوانب موضوع البحث، فإننا ننتقل إلى المقالات في الدوريات والمؤتمرات والتقارير والأطروحات وما إلى ذلك.

3- ما طبيعة المعلومات المطلوبة؟ هل تتعلق بمتابعة التطورات في موضوع ما، أو ببيانات إحصائية، أو برسوم بيانية فنية، .. إلخ؟

4- ما مدى حداثة المعلومات المطلوبة؟ هل يمكن العودة إلى الوثائق الأرشيفية، أم يمكن فقط الإعتماد على أحدث نتائج البحث المعروفة؟

إن الإجابة الدقيقة على هذه الأسئلة سوف تعين الباحث وترشده كما ذكرنا إلى المعلومات والوثائق المطلوبة، وإلى المصادر التي تحويهما، لكن هناك شروط للتعامل ولتحليل هذه الوثائق والمصادر:

1- التحليل الأولي:

بعد أن حدد الباحث في البداية أهدافه والمشكلة التي أراد معالجتها في بحثه، وبعد القيام بإجراء بحث موسع عن المصادر الوثائقية التي قد تكون أساس مسح البيانات وتحليلها. ومع ذلك، فإن تحديد مكان الوثائق لا يضمن أنها ستكون جميعها ذات صلة بأهداف البحث أو أنها مصادر موثوقة. لذلك، من الضروري إجراء تحليل أولي لهذه الوثائق يشمل دراسة وفحص والتحقق من الأشياء التالية[12]:

أ- **سياق الوثيقة**: حيث يتم تقييم السياق التاريخي الذي تم فيه إنتاج هذه الوثيقة. وبهذا المعنى، فإنه لا يكفي التفكير في الزمن الذي ظهرت فيه فقط كزمن أو تاريخ، بل من الضروري النظر في البيئة الإجتماعية والسياسية والثقافية ... التي أنتجت في ظلها، ولمن تم إنتاجها أو توجيهها؟

[12] Chrisantus Oden, How to Conduct a Documentary Research: A Step-by-Step Guide, https://bit.ly/3hKy56P.

ب- **من كتب الوثيقة (صاحب الوثيقة):** من المهم جدا للباحث معرفة من كتب الوثيقة، وفي أي الظروف كتبها، وما غرضه أو هدفه منها، ولمن كتبها؟ تتيح معرفة كل هذه الأشياء في تقدير درجة مصداقية الوثيقة نفسها.

ت- **أصالة وموثوقية الوثيقة:** من المهم أيضًا أن يسأل الباحث عن كيفية حفظ هذه الوثيقة ووصولها إليه، وهل هي أصلية أم نسخة عن الأصل؟ وإذا كانت نسخة فبواسطة من تم نسخها؟ بأية شروط وبأية مصالح؟ إذا كانت الوثيقة تصف الحقائق، فمن الضروري التفكير في نوع الحقائق التي تتضمنها، وهل صاحب الوثيقة كان شاهداً مباشراً أو غير مباشر على الأحداث، وهل تحتوي الوثيقة أحكاما لصاحبها على الحقائق التي تضمنتها؟

ث- **طبيعة الوثيقة:** يمكن أن تختلف الوثيقة في الشكل والبنية وفقًا لطبيعتها. فعلى سبيل المثال، تختلف الوثيقة القانونية اختلافًا كبيراً عن وثيقة فنية أو طبية.

ج- **المنطق الداخلي للوثيقة:** حيث يتم تقييم الرسالة المركزية للوثيقة. فكيف تصل الرسالة لمن هم على اتصال بها؟ ما هي الاستراتيجيات الجدلية المستخدمة فيها؟ هذه الأسئلة مهمة بشكل خاص للباحث عندما يطلع على عدة وثائق مماثلة.

2- تحليل مصادر الوثائق:

في هذه المرحلة يتم إجراء استبيانات للوثائق ذات الصلة بأهداف البحث. في التحليل، تتم مناقشة البيانات والموضوعات بناءً على نموذج نظري ومراجع ببليوغرافية ذات صلة. وبالتالي، فإن البحث الوثائقي هنا يقتضي أو يرتكز على البحث الببليوغرافي، حيث يجب أن يكون هناك أيضًا تحليل أولي للمصادر[13].

هناك من لخص الخطوات الواجب اتباعها من أجل إعداد بحثٍ وثائقي بطريقةٍ صحيحة، فيما يلي[14]:

- **تحديد مصادر المعلومات:** والتي تعتمد على تحديد المصدر الذي سيتم الرجوع إليه من أجل الحصول على المعلومات في البحث الوثائقيّ.

---

[13] Chrisantus Oden, How to Conduct a Documentary Research: A Step-by-Step Guide, https://bit.ly/3hKy56P.

[14] مجد خضر، (2017)، البحث الوثائقي، على الرابط: https://bit.ly/3yWK4UQ

- **تقييم المعلومات:** والتي تعتمد على التحقق من صحة وموثوقية المعلومات ودقّتها في توفير كافة البيانات المناسبة للبحث الوثائقيّ، وكلما كانت هذه المعلومات تعتمد على مصادر صحيحة كلما ساهمت في دعم موضوع البحث الوثائقيّ بشكل أفضل.
- **إيجاد تفسير دقيق لكل معلومة:** والتي تساهم في تفسير المعلومات، ووضع خلاصة لكل معلومة منها. فليس بالضرورة أن يفهم كل شخص يقرأ البحث معنى معلومة ما، لذلك من الواجب على كاتب البحث أن يوضّح كافة المعلومات الواردة في محتوى البحث الوثائقيّ.

سادسا- معيقات وصعوبات البحث الوثائقي:

غالبًا ما تكون هناك عوائق عملية أمام أهداف البحث المتمثلة في جمع الوثائق وتحليلها:

- قلة الوقت والتمويل والموارد لإجراء تحقيق كامل حول الوثائق؛
- قد لا تكون البيانات ذات الصلة متاحة؛
- صعوبة الحصول (وفي بعض الأحيان انعدام) على حق أو ترخيص الوصول إلى الوثائق أو بعضها، خاصة مما يوضع في خانة السرية؛
- قد يكون نشر المواد (على سبيل المثال، الشؤون الجنائية والجنسية) ضارًا (وغير أخلاقي) لذكرى مؤلف أو مجموعة من الأشخاص؛
- قد يكون من الصعب قراءة البيانات (خاصة الوثائق المكتوبة بخط اليد)؛
- قد تكون الوثائق التاريخية والمحلية قد تضررت؛
- قد تستخدم الوثائق (خاصة المصادر الشخصية) الاختصارات والمراجع المشفرة للأفراد والممارسات والعلاقات التي قد يكون من الصعب تفسيرها؛

سابعا- مزايا وعيوب البحث (المنهج) الوثائقي:

1- مزايا البحث الوثائقي:

هناك العديد من المزايا والفوائد التي يتيحها استخدام المنهج الوثائقي في البحوث الإجتماعية، نذكر منها[15]:

- يتطلب تحليل الوثائق وقتا أقل مقارنة بالمناهج الأخرى، وبالتالي كفاءة أكثر وسرعة أكبر في إنجاز البحوث العلمية.
- توفر الوثائق، حيث توجد العديد من الوثائق في المجال العام، خاصة منذ ظهور الإنترنت، ويمكن الحصول عليها دون إذن المؤلفين. وهذا يجعل من الإعتماد على تحليل الوثائق خياراً جذابًا بالنسبة للباحثين الذين يستخدمون المناهج النوعية. وكما جادلت شاران مريام Sharan B. Merriam فإن تحديد مكان السجلات العامة يقتصر فقط على خيال الفرد واجتهاده، ذلك أنه من المقولات المهمة التي يجب مراعاتها والعمل بها في هذا الصدد: "أنه إذا حدث حدثٌ عام، فمن المرجح وجود سجل رسمي له".
- تقليل التكلفة، حيث أن تحليل الوثائق أقل تكلفة من طرق البحث الأخرى، وغالبًا ما يكون الطريقة المفضلة عندما لا يكون جمع البيانات الجديدة ممكنًا.
- تتميز الوثائق بأنها "غير مزعجة" و"غير تفاعلية"، أي أنها لا تتأثر بعملية البحث. لذلك، فإن تحليل الوثائق يقاوم المخاوف المتعلقة بالانعكاسية (انعكاس وتأثير ذاتية الباحث) المتأصلة في طرق البحث النوعي الأخرى. إن الانعكاسية التي تتطلب وعيًا بمساهمة الباحث في بناء المعاني المرتبطة بالتفاعلات الاجتماعية والإقرار بإمكانية تأثير الباحث على البحث لا يمثل عادةً مشكلة في استخدام الوثائق لأغراض البحث.
- استقرار الوثائق، وهو نتيجة طبيعية لعدم تفاعل أو تغير الوثائق. فتفاعل الباحث واحتكاكه واستخدامه للوثائق لا يغير من طبيعتها ولا من مضمونها. لذا تعتبر الوثائق بشكل عام مناسبة للمراجعات المتكررة.

---

[15] Glenn A. Bowen, Document Analysis as a Qualitative Research Method, Qualitative Research Journal, vol. 9, no. 2, 2009, p31.

- إن إدراج الأسماء الدقيقة والمراجع وتفاصيل الأحداث يجعل الوثائق مفيدة في عملية البحث.
- توفر الوثائق تغطية واسعة. إنها تغطي فترة زمنية طويلة، والعديد من الأحداث، والعديد من الأماكن.
- يمكن أن تحتوي الوثائق على بيانات لم يعد من الممكن ملاحظتها، وتوفر تفاصيل نسيها المحققون والباحثون، وبالتالي تمكننا من تتبع التغير والتطور في موضوعا ما.
- يمكن أن يلفت تحليل الوثائق انتباهنا إلى الأسئلة التي يجب طرحها أو إلى المواقف التي يجب ملاحظتها، مما يجعله وسيلة لضمان أن يكون البحث نقديا وشاملًا.

2- عيوب البحث الوثائقي:

لاحظ تيم ماي Tim May أن الوثائق لا تعكس الواقع الإجتماعي فقط كما يدعي أصحاب الإتجاه الوضعي في العلوم الإجتماعية، بل قد تُسهم في بناء وإعادة تشكيل هذا الواقع أيضًا وكذا الأحداث المكونة له. لذا يجب على الباحثين الإستمرار في البحث عن "المعنى" في الوثائق التي يرجعون إليها، وأن يمارسوا عليها دائما عملية الشك والتمحيص والتحقق. لأن الوثائق ليست مصنوعات أو منتوجات محايدة تقدم تقارير ومعلومات مستقلة عن الواقع الإجتماعي.

إنه وعلى الرغم من إيجابيات استخدام المنهج الوثائقي في البحث الإجتماعي، إلا أنه أُنتقد من قبل العديد من الباحثين في العلوم الاجتماعية بسبب طبيعة جمع البيانات الخاصة فيه. وفي هذا كتب مارتن دانسكومب Martyn Denscombe معددا انتقادات البحث الوثائقي فيما يلي[16]:

- أثناء استخدام الوثائق كمصادر للبيانات، يعتمد الباحثون عمومًا على شيء تم إنتاجه لأغراض أخرى وليس للأهداف المحددة للبحث.
- يمكن أن تعكس الوثائق تفسيرات وتعليقات مُنتجيها أكثر من أن تعكس الصورة الموضوعية للواقع.

[16] Jashim Uddin Ahmed, pp 9-10.

- نظرًا لسياقها وهويتها الإجتماعية، سيعطي الباحث فهمًا انتقائيًا ومتحيزًا للوثيقة، وقد يختار وينتقي وثائق معينة عن عمد. وهذا انتقاد شائع للباحثين الذين يستخدمون أي تقنية لجمع البيانات.
- قد يقرر بعض مؤلفي الوثائق تسجيل وترك معلومات إيجابية ومُجامِلة عن بيئتهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي هم جزء منها، وبالتالي، فإن الوثائق التاريخية قد تكون قابلة للتلاعب والتأثير الانتقائي. فعند إجراء بحث وثائقي، يجب على الباحثين أن يكونوا على دراية بهذه التأثيرات وألا يفترضوا أن الوثائق هي ببساطة قطعة أثرية محايدة من الماضي. في الواقع ، يمكن للقراءات غير النقدية لنصوص الوثائق إعادة إنتاج وتعزيز تهميش جماعات معينة، مثل الطبقة العاملة والنساء والأعراق.
- بينما توفر التقنيات الجديدة (مثل الإنترنت) إمكانيات للحصول على الوثائق، يتعين على الباحثين ممارسة النقد الذاتي عليها، نظرًا لأن الكثير من الوثائق الموجودة على الإنترنت تنتجها مجموعات سياسية وثقافية واقتصادية قوية، ممن يرغبون في ضمان وصول صور ومعلومات معينة إلى المجال العام.
- بينما توفر التكنولوجيا الرقمية (على سبيل المثال، أجهزة الكمبيوتر) فرصًا لأشكال جديدة من البحث، يجب أن نتذكر أنها تُمكِّننا من إنشاء المعلومات وتعديلها وإتلافها واستبدالها بأقل جهد وتكلفة.
- بشكل عام، إن استخدام الوثائق دون إيلاء الاعتبار الواجب للعملية والسياق الاجتماعي لبنائها، يترك الباحثين عرضة لتهمة عدم ممارسة النقد الذاتي أو الإنعكاسي في قراءاتهم.